

حياة العبيد الأفارقة في عصر النهضة الأوروبية، بين الوضع القانوني والاعتراق الاجتماعي

والانطباع الفني

أحمد رنيمة

Ahmed Renima

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

Ahm.renima99@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/05/18 تاريخ القبول: 2025/06/13

تاريخ النشر: 2025/07/30

ملخص:

خلال القرن الرابع عشر الميلادي صارت الاساطيل البرتغالية والاسبانية تغادر بشكل منهجي الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وتتجه نحو المحيطين الأطلسي ثم الهادي، ومع اكتشاف إفريقيا وغزو سواحلها، صارت مهنة جلب الأفارقة واستعبادهم بإخضاعهم للخدمة في كامل أوروبا تقريبا مهنة مربحة ومرغوبة.

لم يكن العبيد طبقة أو فئة اجتماعية مميزة داخل المجتمعات الأوروبية، بل كانوا يشكلون جزءاً من مجموعة أكبر من المستعبدين. وعلى الرغم من أن وضع العبيد القانوني لم يكن واضحاً، إلا أن خدماتهم وفعاليتهم الاجتماعية كانت في الغالب مماثلة لوضع الأقران أو خدم المنازل أو غيرهم من العمال المستعبدين في المدينة أو الريف من البيض. ومن الواضح أن العبيد كانوا ينتمون إلى الفئات الأكثر ضعفاً في المجتمع لكن أوضاعهم الفردية يمكن أن تتباين بشكل كبير أو بأخر. كما كان الخطاب السائد لدى النخب الأوروبية خلال عصر النهضة حول الرق والعبودية وشعارات الإنسانية، مسائرا جنبا إلى جنب مع ممارسات الرق المختلفة في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. وعلى الرغم من اتفاق الجميع تقريباً على أنه لم يكن مسموحاً للمسيحيين استعباد أو بيع إخوانهم المسيحيين وأن استعباد الأجانب كان يجب أن يتبع قواعد معينة من قواعد الحرب والقانون، إلا أن ممارسات الاسترقاق قد تختلف بشكل كبير عن تلك القواعد دون الحاجة إلى الكثير من التناقض أو التبرير. كانت ممارسات الاسترقاق عنصراً لا جدال فيه في أوروبا في عصر النهضة على الرغم من أنها لم تكن دائماً ما

يطلق عليها أو يُنظر إليها على هذا النحو. من بين كم كبير من الوثائق الرسمية وغير الرسمية، يعد فن التصوير عموماً والنحت أحياناً من أكثر الأدلة الشاهدة على معاناة المستعبدين السود الأفارقة، وعن وضعهم القانوني والاجتماعي، وعن قصص نجاحهم وخيبتهم وعن مقاومتهم الوجودية ثم ذوبانهم في أوروبا

الكلمات المفتاحية

العبودية، الرقيق الأفريقي في أوروبا، عصر النهضة، العبودية في الفن.

Abstract:

During the 14th centuries Portuguese and Spanish fleets systematically left the Mediterranean for the Atlantic and Pacific oceans, for endeavors in African atlantics coasts. The discovery of Africa and the conquest of new areas encouraging the practice of bringing African people and enslaving them for service in almost all of Europe became lucrative and desirable business. This situation disrupted the old systems, opened up new paths for relations between states and the beginning of the formulation of a new international law.

Three major features characterize slavery in Renaissance Europe: First, slaves were not a distinctive social stratum or class within European societies but formed part of a larger group of bonded people. Although slaves' status, unlike others, was at least formally marked by their market price and the fact that they could be (re)sold at any point to anyone else, their services and effective social agency were often comparable to the situation of serfs, household servants, or other bonded workers in town or countryside. Slaves clearly belonged to the most vulnerable groups of society, but their individual situations could vary widely, and they were not always in the most powerless position. The dominant discourse of scholars during the Renaissance about slavery existed side by side with different practices of slaving. Although almost everybody agreed that Christians were not allowed to enslave or sell, fellow Christians and that the enslavement of foreign people had to follow certain rules of warfare and international law, slaving practices could sometimes significantly differ from those norms without great need for dissimulation or

justification. Slaving practices were an unquestioned element of Renaissance Europe even though they were not always termed or perceived as such. Among the vast amount of official and unofficial documents, painting and sculpture are some of the most compelling evidences of the suffering of enslaved black Africans, their legal and social status, their stories of success and disappointment, their being resistance and their eventual assimilation into European societies.

Key words:

Slavery, African Slavery in Europe, Renaissance, Slavery in Art.

1. مقدمة

في خضم تطور الفنون وازدهار الآداب وتحرر الفكري وانتشار الحركة الإنسانية خلال ما سمي فيما بعد بعصر النهضة في أوروبا، ومنذ القرن الرابع عشر الميلادي حتى القرن السابع عشر تقريباً، فإنه من المشروع التساؤل عن حالة الإنسان، ذلك الإنسان الذي لم يكن يسكن أوروبا ولم يكن لا تاجراً ولا رحالة ولا سفيراً، ذلك الإنسان الذي رمت به الأقدار في تلك البلاد بعيداً عن دياره، بعدما تم اختطافه وبيعه؟ ذلك الذي كان يسمى عبداً في أوروبا عصر النهضة. فمن أين أتى أو جاء به؟ هل كان هناك تغير لأحوال العبيد مع مرور الوقت في الفترة من 1400 إلى 1600م؟ وكيف كان يعيش وما هو موقعه القانوني وظروف معاملته الاجتماعية، وكيف كانت صورته في الأعمال الفنية التي تتطور وتزدهر أكثر من أي شيء آخر؟

كان هناك طريقان رئيسيان تم من خلالهما جلب الأفارقة المستعبدين إلى أوروبا: من شرق البحر الأبيض المتوسط أو شمال إفريقيا، ومن الساحل الغربي لإفريقيا فيما بعد. ولكن، باستثناء إسبانيا، في منتصف القرن الخامس عشر قبل بدء تجارة الرقيق من غرب إفريقيا، كانت نسبة ضئيلة فقط من العبيد في أوروبا من الأفارقة، باستثناء إسبانيا، وكانت الغالبية العظمى من شرق البحر الأبيض المتوسط أو روسيا أو آسيا الوسطى. خلال عصر النهضة، لم تكن العبودية ظاهرة خاصة بالسود فقط، فالعبيد في أوروبا كانوا "بيضاً" و"سوداً" على حد سواء. كان لأوروبا تاريخ طويل مع العبودية البيضاء. فقد كانت هناك عبودية جماعية للبيض في أوروبا قبل أن تكون هناك عبودية للسود، واستمر الرق الأبيض بعد تدفق العبيد السود من إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى في القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، بحيث كان العبيد البيض والسود يعملون في كثير من الأحيان جنباً إلى جنب في نفس المنازل أو في نفس الممتلكات.¹ وبسبب استيطانها القديم وحضاراتها المتنوعة، كانت المجتمعات الأوروبية في عصر النهضة تتميز بالتصديق والتعقيد، وقد أثر ذلك على تنوع الطرق التي تطورت بها العبودية.

لم تكن العبودية في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ملازمة لصاحبها مدى الحياة؛ بل كان يتم تحرير العبد والأمة طبعاً عند وفاة السيد أو السيدة أو تحديد فترة

¹ - Cf., Epstein, Steven A., *Speaking of Slavery: Color, Ethnicity, and Human Bondage in Italy* (Ithaca and London: Cornell University Press, 2001), 107-112, for a description of 357 white slaves in late fourteenth-century Florence.

محددة لاستعباده. وكان من المنتظر أن تتحول حياة العبيد إلى حياة حرة في المستقبل، وبالتالي كان العبيد يعيشون دائماً على أمل أن يتم تحريرهم من العبودية. كان العتق، أو تحرير العبيد احتمالاً وارداً. وعادة ما كانت آلية ذلك ترد في الوصية، حيث كان يتم تحديد مستقبل العبيد، وحيث كان يتم توريث المال للزواج أو لتأسيس منزل أو لتمكين العبد السابق من كسب العيش. كما تم توريث الملابس والممتلكات. وبالتالي، يمكن النظر إلى العبودية في أوروبا خلال عصر النهضة في أبسط صورها وأكثرها سلاسة، على أنها مجرد مرحلة من مراحل الحياة وليست حكماً بالسجن مدى الحياة. ونتيجة لعملية التحرر هذه التي تمت في غضون جيل واحد، وإمكانية الاندماج، كان الأفارقة المحررون والأحرار يتنقلون اجتماعياً وسرعان ما ظهروا في مناصب مهنية وإبداعية في أوروبا. فقد شهد أواخر القرنين الخامس عشر والسادس عشر ظهور أول محامين سود وأول رجال كنيسة سود وأول مدرسين سود وأول مؤلفين سود وأول فنانيين سود. وكان هذا ظاهرياً أكثر ما كان جوهرياً، كان الإفريقي الأسود الذي صوّره الرسام الهولندي يان موستارت (Jan Mostaert 1552-1553) في الزي الأوروبي "أوروبياً" من خلال اقتنائه لمواد الزينة الأوروبية مثل السيف وشارة القبعة والرموز المسيحية، وربما كان سفيراً أو شغل منصباً في أحد قصور الحكام الأوروبيين.² حتى أن ابن زوج من العبيد الأفارقة السود في أوروبا في هذه الفترة قد نال القداسة: أول قديس أوروبي أسود، سان بينيديتو San Benedetto (القديس بنديكت، المعروف باسم "الموري") عاش في صقلية في القرن السادس عشر، على الرغم من أنه لم يُقدّس حتى عام 1807م.³ وكلمة المور تعود إلى التسمية الرومانية القديمة لسكان شمال إفريقيا من البربر "الموريثانيون" وتمّ تعميم استعمالها على المسلمين الذي نزلوا الاندلس ثم جنوب غرب أوروبا، وكان أغلبهم من البربر وأقلية عربية وسودانية، فقد غلب على تسمية كل سوداني أو بربري من المسلمين أسم موري ثم شملت رعايا الدولة العثمانية. ولا تحمل الكلمة أي إشارة إلى العرق أو

² - Lowe. K.J.P., "The Stereotyping of Black Africans in Renaissance Europe," in T.F. Earle and K.J.P.

Lowe, eds., *Black Africans in Renaissance Europe* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), 17–47 at 44–47.

³ - Fiume, Giovanna, and Modica. Marilena, eds., *San Benedetto il moro: Santità, agiografia e primi processi di canonizzazione* (Palermo: Città di Palermo, 1998); Giovanna Fiume, "Il processo 'de cultu' a Fra' Benedetto da San Fratello (1734)," in Giovanna Fiume, ed., *Il santo patrono e la città: San Benedetto il Moro: culti, devozioni, strategie di età moderna* (Venice: Marsilio, 2000), 231-252.

لون البشرة، بل كانت هناك أوصاف أخرى تصنف الناس إلى مغاربة بيض ومغاربة سمر ومغاربة سود.

كانت لظاهرة عتق وتحرير العبيد في أوروبا في عصر النهضة المتمثلة أثاراً مهمة على تمثيل الأفارقة في وسائل الدعاية المنتشرة آنذاك ومنها فن التصوير والنحت. فكان عادة ما يُفترض أن الأفارقة وبخاصة الأفارقة السود هم عبيد بالضرورة -مع بعض الاستثناءات في أوروبا الشمالية- إلا أنه في معظم الحالات لا يكون الوضع القانوني واضحاً ولا يمكن تمييزه من خلال ما يتمثله الفنانون وتعبّر عنه اللوحات الزيتية والصور عمومًا. كانت هناك مهنة مخصصة للأفارقة السود المحررين أو المعتوقين في البندقية، مرتبطة بمهاراتهم السابقة كعبيد، وربما أيضاً بحياتهم السابقة في غرب إفريقيا ومنها مهنة صانع الغندول.⁴ Gondoli، (قوارب النقل بشوار البندقية المائية).

تُظهر لوحتان من لوحات عصر النهضة وهما لوحة "معجزة الصليب الحقيقي على جسر رياتو" لفيتوري كارباتشيو Vittore Carpaccio، والمعروفة أيضاً باسم "شفاء الرجل الممسوس" من عام 1494، والتي تضم اثنين من رجال الغندول السود، ولوحة "الصيد على البحيرة" التي رسمها بول غيتي Paul Getty من حوالي 1490-1495، والتي تضم اثنين من الملاحين السود، تظهر الأفارقة السود في العمل في الأنشطة المائية، ولكن لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كانوا مستعبدين أو أحراراً.⁵ وعليه يمكن أن يكون الأفارقة في تمثيلات عصر النهضة الفنية إما عبيداً أو معتوقين محررين، وربما أحراراً لم يتم استعبادهم قط، ولكن يرجح دوماً أن أحد أبويهم أو كلاهما كان عبد أو أمة. كما يمكن أن تكون هذه الفئة الأخيرة ضمن هذا الوضع القانوني قد شملت أشخاصاً من أصول إفريقية جزئياً، الذين كان أحد والديهم إفريقيًا واحدًا فقط، والذين كان عددهم كبيراً خلال جيل واحد. وفي معظم الحالات، وخاصة في تمثيلات الرؤوس والوجوه

⁴ - Lowe. Kate, "Visible Lives: Black Gondoliers and Other Black Africans in Renaissance Venice," Renaissance Quarterly 2013.

⁵ - Kaplan. Paul H.D., "Italy, 1490–1700," in The Image of the Black in Western Art, 3: From the "Age of Discovery" to the Age of Abolition, part 1: Artists of the Renaissance and Baroque, ed. David Bindman and Henry Louis Gates, Jr. (Cambridge Mass.: Belknap Press of Harvard University Press, 2010). 93-190 at 94-96.

الإفريقية، لم يكن الوضع القانوني للشخص المصور مهماً؛ وفي حالات قليلة، تظهر رغبة الفنان في تضمين المشاهد أن الإفريقي هو عبدٌ بالضرورة، ولذلك كان يتم وضع سلاسل أو قيوداً أو أطواقاً للعبيد في الصور. وهناك رأس إيطالي صغير مصنوع من الحديد المصبوب لعبد أسود ملتحٍ يرتدي طوقاً للعبيد من النصف الثاني من القرن السادس عشر وهو أمر مثير للدهشة إلى حد ما، حيث أن معظم صور العبيد في أطواق، والتي يمكن أن تكون قطع مجوهرات باهظة الثمن ومزخرفة للغاية، تعود إلى فترة لاحقة. وعادةً ما كانت الأغلال والأصفاد تستخدم عادةً كشكل من أشكال العقاب بعد محاولة العبد الهرب أو عندما يُشتبه في أنه سيمرب إن سُنحت له الفرصة؛ ولم تكن السلاسل تستخدم بشكل دائم. لكن، كان مسلمو شمال إفريقيا، الذين كان معظمهم قد أُسروا في الحرب، توضع لهم السلاسل والأغلال بشكل أكثر إثارة من الأفارقة جنوب الصحراء الكبرى.⁶

قام الفنان الألماني كريستوف فايدتز Christoph Weiditz وهو من ستراسبورغ Strasbourg بجمع كتاب أزياء في عشرينيات وثلاثينيات القرن الخامس عشر، حيث سجل فيه ملابس وعادات الناس، بمن فيهم العبيد، في إسبانيا وهولندا. يظهر عبيد المراكب البيضاء والعبيد السود الذين يحملون الماء على السفن وهم يرتدون أغلالاً في أرجلهم، ويظهر عبد أسود في قشتالة وقد وضعت أغلالاً حول كاحليه وسلسلة ثقيلة تربط أحدهما بخصره. ويوضح النقش المصاحب لهذه الصورة الأخيرة أن السلسلة تدل على أن مرتديها قد حاول الهرب بالفعل.⁷

كان تضمين نقش أو لوحة توضيحية طريقاً آخر يمكن للفنانين من خلاله التأكيد على أن المقصود من المشاهد، هو أن الإفريقي الذي تم تصويره هو عبد. على سبيل المثال، فإن الجارية السوداء التي تحمل التسمية إيثيوبيسا Ethiopissa في نقش خشبي ألماني يوضح قائمة

⁶ - Lowe. Kate, "The Lives of African Slaves and People of African Descent in the Art of Renaissance Europe" September 7, 2023. <https://brewminate.com/the-lives-of-african-slaves-and-people-of-african-descent-in-the-art-of-renaissance-europe/>

⁷ - Hampe. Theodor, *Das Trachtenbuch des Christoph Weiditz: Von seinen Reisen nach Spanien (1529) und den Niederlanden (1531/31)* (Berlin: Walter de Gruyter, 1927), pls. XLVII, LXIII, LXIV, LXV, LXVI for slaves wearing anklets. The inscription is on pl. XLVII.

الشخصيات في طبعة عام 1499 من مسرحية تيرينس المخصي، بأنها جارية. يشير استخدام كلمة إيثيوبس Ethiops أو أحد أشكالها المختلفة في هذه الفترة ببساطة إلى أن الشخص هو إفريقي أسود، ولا يشير إلى أن الشخص جاء بالضرورة من إثيوبيا.

وفيما يتعلق بتمثيلات العبيد، فقد قام المؤرخون القدماء بعزل عوامل مثل قصر القامة وقصر الشعر ووضعية الجسم التي يزعمون أنها تدل على العبيد في التمثيلات اليونانية القديمة، ولكن لا يمكن القيام بذلك في أوروبا في عصر النهضة.⁸ في بعض الأحيان، يشير التعبير الكتيب أو اليائس للإفريقي إلى أن الشخص الذي تم تصويره ربما كان عبداً. وهذا هو الحال بالنسبة للصورة التي رسمها ألبريشت ديرر Albrecht Dürer بالنقوش الفضية لامرأة إفريقية سوداء شابة تدعى كاتارينا Katharina والتي قابلها دورر في أنتفارب Antwerp في منزل أحد عرابيه، وهو العامل البرتغالي جواو برانداو João Brandão. وقد وصفها ديرر في مذكراته بأنها مهربة برانداو Brandão's Mohrin أو ربما مورية (Moor)،⁹ ومن المحتمل جداً أنها كانت جاريته وليس مجرد خادمته، على الرغم من أن العبودية لم تكن قانونية في الأراضي المنخفضة، ولا تحمل الكلمة أي معنى قانوني.¹⁰ كانت كاتارينا سوداء، كما يتضح من رسم ديرر، ولكن تدوينه في مذكراته لا يوضح ذلك. نقش ديرر اسمها وعمرها، وكان عشرون عاماً، على اللوحة، لذا فإن هذه الأمور ليست موضع شك. وقد التقط ديرر تعبيرات كاتارينا البعيدة إلى ما لا نهاية وعينها المتجهمتين وغطاء شعرها بشكل مؤثر. كما رسم الفنان أيضاً رسماً آخر لرجل إفريقي أسود البشرة في نفس التاريخ تقريباً. وعلى الرغم من أن التاريخ كان سنة 1508م مما يظهر على الرسم، إلى جانب توقيع ديرر، إلا أن التاريخ لا يعتبر ثابتاً. لا يُعرف أي شيء عن هذا الرجل، وقد يكون هو المساعد التشريحي أو خادم جواو برانداو نفسه الذي كتب ديرر أنه رسمه بعد 14 ديسمبر

⁸ - Thalmann. William G., "Some Ancient Greek Images of Slavery," in Richard Alston, Edith Hall, and Laura Profitt, eds., *Reading Ancient Slavery* (London and New York: Bristol Classical Press, 2011), 72–96 at 78–86.

⁹ - Rudt de Collenberg. Wipertus, "Le baptême des Musulmans esclaves à Rome aux XVIIe et XVIIIe siècles," *Mélanges de l'École française de Rome: Italie et Méditerranée*, 101:1(1989): 9-181.

¹⁰ - Thausing. Moriz, ed., *Dürers Briefe, Tagebücher und Reime* (Vienna: Wilhelm Braumüller, 1872), p. 114.

1520. يحتل أن يكون ذلك الإفريقي الذي رسمه ديرر بالشارب واللحية، بالإضافة إلى شعره المجعد المتقارب ليس عبداً، ممّا كانت تظهر عليه كاثرينا، حيث كانت اللحية عادةً ممنوعة على العبيد، كما أن تعبيرات وجهه أقلّ بؤساً بشكل واضح.¹¹

كانت وضعية الأفارقة الاجتماعية والقانونية توجي بشكل واضح بالدونية والنقص مقابل البشر الآخرين، كما هو الحال مع الأطفال السود الصغار الذين كانوا يحظون بتقدير كبير في القصور الأوروبية، والذين تم رسمهم أحياناً إلى جانب مالكيهم أو أسيادهم، أو عشاقهم وعاشقاتهم، كما في لوحة تيتيان Titian لورا دي ديانتى Laura dei Dianti من حوالي سنة 1523 م. ، ولوحة كريستوفافو دي موراييس Cristóvão de Moraes لخوانا النمساوية Juana of Austria عام 1555.¹² أما الصبي والفتاة الأسودان فأصغر بكثير من عاشقهما لأتهما طفلان، وصغر قامتهما يجعلهما ضعيفين وغير مهمين، ولعل الحقيقة كانت عكس ذلك تماماً.

ومع ذلك، لم يكن هؤلاء الأطفال بالضرورة عبيداً، على الرغم من أن معظمهم على الأرجح كانوا كذلك؛ ففي بعض الأحيان كان يتم استدراج عائلات سوداء كاملة من الأحرار إلى العمل، حتى يتسنى للأطفال السود الصغار والجدابين أن يكونوا متاحين للخدمة.¹³ في المشاهد الجماعية التي تضم أشخاصاً بيضاً وسوداً على حد سواء، غالباً ما يظهر الأفارقة السود في مواقع هامشية أو هامشية للغاية، ولكن مرة أخرى لا يمكن اعتبار ذلك مؤشراً على الوضع القانوني وليس الاجتماعي.

2. الوضع القانوني والحياة الاجتماعية للعبيد

¹¹ - Lowe. Kate, "The Lives of African Slaves and People of African Descent in the Art of Renaissance Europe" September 7, 2023. <https://brewminate.com/the-lives-of-african-slaves-and-people-of-african-descent-in-the-art-of-renaissance-europe/>

¹² - Annemarie. Jordan, "Images of Empire: Slaves in the Lisbon Household and Court of Catherine of Austria," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, 155-180. pp. 175-179 and fig. 45.

¹³ - Luzio. A., and Renier. R., "Buffoni, nani e schiavi dei Gonzaga ai tempi d'Isabella d'Este," Nuova antologia di scienze, lettere ed arti, 3rd series, 34 (1891): 618-650, and 35 (1891): 112-146, p. 141.

كان الرق في أوروبا ظاهرة مدنية إلى حد كبير، فلا توجد مدن من غير عبيد، ونتيجة لذلك، وجد العديد من العبيد أنفسهم يعيشون إما كعبد وحيد أو واحد من اثنين أو ثلاثة في الأسرة المعيشية. وغالباً ما كانت الأسر المعيشية تتألف من العبيد وأنواع مختلفة من الخدم. ولم تكن مجموعات كبيرة من الأفارقة قادرة على التجمع في مدينة أوروبية إلا في حالات نادرة جداً، ولكن أحد المواقع في مدينة لشبونة (عاصمة البرتغال) كان يوفر مثل هذه الفرصة. فقد كانت لشبونة تضم أكبر نسبة من السود في أوروبا في ذلك الوقت، حيث كان 10 في المئة من السكان من السود.¹⁴ في لوحة مجهولة المصدر تعود إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي للواجهة البحرية في لشبونة، صوّر فنان هولندي على الأرجح التمثيل الكبير للسود من جميع الأوضاع الاجتماعية والقانونية، من العبيد الذين يحملون الماء إلى اللصوص الصغار إلى الفرسان، الذين كانوا يتواجدون حول شافاريز ديل ري Chafariz d'el Rey، نافورة الملك.¹⁵ هذا المشهد النوعي غير مألوف إلى حد كبير، وبالإضافة إلى توفيره مشاهد مرئية قيّمة للأفارقة أثناء العمل واللعب، فإنه يتيح للمشاهد أن يلمس التفاعل الاجتماعي والمكاني بين السود والبيض في بيئة يظهر فيها السود والبيض بأعداد متساوية تقريباً. كان الرق المنزلي في معظم الحالات هو الشكل الأرحم والاهون من أشكال العبودية بالنسبة للرجال، وكان أقل مشقة وأقل خطورة من الناحية البدنية من أشكال العبودية الأخرى. وعلى غرار الخادمت، كانت العبيد الإناث فريسة جنسية سهلة أينما عملن، على الرغم من أنه ربما كان هناك أمان أفضل من خطر في العيش في ظروف القاسية. كان هناك العبيد مملوكين من قبل مجموعة كبيرة ومتنوعة من الناس يعيشون في المدن والبلدات: على سبيل المثال، وجدت إحدى الدراسات التي أجريت في بلنسية (فالنسيا الإسبانية حالياً) Valencia أنه في الفترة 1460 إلى غاية عام 1480، أي في خلال عشرين سنة، أنّ هناك من أصل 317 عبداً، وجد ثمانية بالمائة (8%) منهم مملوكين للنبلاء، و 8 بالمائة أيضاً مملوكين للمحامين والأطباء، و 25 بالمائة للتجار وأصحاب المحلات والسماسرة، و 11 بالمائة منهم مملوكين لأشخاص يعملون في صناعة النسيج، و 5 بالمائة منهم مملوكين لمن يعملون في مجال البناء، و 4 بالمائة منهم مملوكون للخبازين.¹⁶ كما شملت قائمة من العبيد الإناث (الإيماء)

¹⁴ - Fonseca. Jorge, *Escravos e senhores na Lisboa Quinhentista* (Lisbon: Colibri, 2010), pp. 88-100.

¹⁵ - Jordan, op. cit., p. 73.

¹⁶ - Blumenthal. Debra, *Enemies and Familiars: Slavery and Mastery in Fifteenth-Century Valencia* (Ithaca and London: Cornell University Press, 2009), p. 82, N 8.

الإفريقيات السود والبيض اللاتي تم شحنهن من لشبونة وبيعهن في إيطاليا من خلال بنك توسكان في سبعينيات القرن الرابع عشر الميلادي، كان من بين المالكين لتلك النسوة تجار الذهب والجلود والصوف والحريز وصانعي الأحذية ومدير عام بنك ميديتشي Medici وابن أحد الكتاب الإنسانيين وكونت (قمّس).¹⁷ وفي البلدان التي كان نظامها السياسي ملكياً، كان الملك غالباً ما يتخذ عدداً من العبيد، وفي قصور الحكم الإيطالية كان الحاكم يمتلك عدداً من العبيد. وكانت ظروف الاسترقاق تعتمد في كثير من الأحيان على وضع المالك. فإذا كان العبد مملوكاً لأحد الحرفيين، كان العبد يعيش في جزء من منزل الحرفي ويأكل من الطعام الذي يقدمه الحرفي، أما إذا كان العبد مملوكاً لملك أو ملكة أو أحد النبلاء، كان العبد يرتدي ملابس جيدة ويطعم جيداً ويسكن جيداً. تتضمن الحسابات الواردة من القصور الحكام الإيطاليين العديد من المدفوعات المثيرة للاهتمام لملابس العبيد وفراشهم وأحذيتهم والتحف الخاصة بهم. كما حظي العبيد الأفارقة المملوكين من قبل الملوك والحكام برعاية صحية ممتازة. فعلى سبيل المثال، دفعت ملكة البرتغال كاثرين النمساوية تكاليف علاج أحد عبيدها الذي كان يعاني من إصابة في الرأس على يد جراحها في عام 1552.¹⁸

ربما كانت حياة هؤلاء العبيد الأفارقة الذين لم يعيشوا في المراكز الحضرية أسوأ. فقد عملت مجموعة تعيّسة الحظ بشكل خاص من غير الحضريين مكونة من حوالي 125 من الأفارقة السود حتى الموت في مناجم الفضة في غوادالكانال Guadalcanal في الأندلس بجنوب أسبانيا، التي كان يملكها التاج، بين عامي 1559 و1576 م.¹⁹ وعلى الرغم من أن عددهم لم يكن كبيراً، إلا أنه يمثل مؤشراً على تجريدتهم من قيم ومظاهر الإنسانية، مثلهم مثل العديد من المستعبدين الآخرين لاحقاً. كما تواجد العبيد في صقلية وماديرا²⁰ Madeira، وعملوا في الزراعة، وبعضهم في مزارع قصب السكر، في أوضاع ربما كانت سابقة لعبودية المزارع في منطقة البحر

¹⁷ - Tognetti. Sergio, "The Trade in Black African Slaves in Fifteenth-Century Florence," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, pp. 213-224, pp. 223-224.

¹⁸ - Jordan, op. cit., p. 73.

¹⁹ - Vogt. John, "The Lisbon Slave House and African Trade, 1486–1521," *Proceedings of the American Philosophical Society* 117:1 (1973): pp. 1-16. p. 10.

²⁰ - Brandão. João, "Majestade e Grandezas de Lisboa em 1552," ed. Anselmo Braamcamp Freire and J.J. Gomes de Brito, *Arquivo Historico Portuguez* 11 (1917). p. 94.

الكاريبي والولايات المتحدة.²¹ كما خدم الكثير من العبيد آخرون، بيض وسود على حد سواء، في المراكب الشراعية، بعضهم كعقاب على "جريمة"، والبعض الآخر لأنهم أُسروا في الحرب (ضمن حروب أوروبا المسيحية مع الدولة العثمانية وحلفائها المسلمين) من الناحية النظرية، قضى معظم عبيد المراكب الشراعية أيضاً أحكاماً محددة المدة، ولكن الحياة كانت صعبة للغاية ومات الكثيرون قبل أن يستعيدوا حريتهم. لقد تمّ وضع نصب تذكاري في مدينة ليفورنو Livorno كتذكاري لانتصار فرديناندو الأول دي ميديتشي دوق توسكانا Ferdinando I de' Medici الأكبر على العثمانيين في شمال إفريقيا (كان متحالفاً مع فليب الثالث ملك إسبانيا في حملته على الجزائر) عام 1607. وكان يتألف من تمثال رخامي لفرديناندو اكتمل في عام 1599 وأربعة تماثيل ضخمة متنوعة الأعراق من البرونز واكتمل النصب التذكاري في عام 1626.²² قام آل ميديتشي بتطوير ليفورنو كميناء دولي، حيث أنشأوا فيها مستودعاً ضخماً لعبيد المراكب القواديس Galleys وشجعوا استيطان اليهود السابقين الذين تم تحويلهم قسراً وبخاصة من الاندلس، ولذلك كانت المدينة مأهولة بسكان يتميزون بالتنوع بشكل مناسب لتنميتها.²³ كان واحد من العبيد الأربعة المقيدين بالسلاسل والعراة تقريباً، والمعروفين باسم المور أو بالأحرى الجزائريين الأربعة، على قاعدة النصب التذكاري، له ملامح إفريقية سوداء، وقد تم تصميمه على غرار الثلاثة الآخرين على غرار عبيد المراكب الحقيقيين.²⁴ تبدو تعابير وجه الشاب الأسود حليق الذقن مظهره للبؤس بشكل بارز، مع خطوط تبرز البؤس الذي يكسو جبهته العالية. وقد حددت مذكرة تسمح للرسم الإيطالي بييترو تاكا (1577-1640) Pietro Tacca بأخذ قالب من الشمع لأحد العبيد في عام 1608، وقد نصت المذكرة على أنّ العبد يجب أن يكون حسن السلوك، وبالتالي من المفترض ألا يكون عبداً ذا ماضي إجرامي.²⁵ وقد اتبع تاكا السوابق الكلاسيكية في تجميع الملامح الأكثر كمالاً من عدد من العبيد من أجل صنع تماثيله، لذا على الرغم من أن

²¹ - Blumenthal, op. cit., p. 70.

²² - Lowe. Kate, op., cit.

²³ - Gioffré. Domenico, *Il mercato degli schiavi a Genova nel secolo XV* (Genoa: Fratelli Bozzi, 1971).

²⁴ - Pigafetta. Filippo, *A Report of the Kingdom of Congo and of the Surrounding Countries*, trans. Margarite Hutchinson (London: Frank Cass, 1970), p. 76.

²⁵ - Fonseca. Jorge, *Escravos e senhores*, op., cit., 354-357.

تمثيلات هؤلاء العبيد مأخوذة كلها من الحياة، إلا أنه لم يكن هناك أربعة عبيد تبدو وجوههم وأجسادهم تماماً كما تبدو هذه التماثيل.

هناك عدد كبير من التمثيلات التي تعود إلى عصر النهضة حيث يصور الأثرياء وأصحاب النفوذ مع عائلاتهم أو حاشيتهم، بما في ذلك خدمهم وعبيدهم. ومن شبه المؤكد أن بعض هذه التمثيلات كانت لأشخاص حقيقيين، مرسومة أو منحوتة من واقع الحياة، وهي تعطي لمحة عن الواقع الاجتماعي للخدم والعبيد. تندرج صورة الصياد الأسود في اللوحة الجدارية "رحلة المجوسي" *Journey of the Magi* التي رسمها بينوتزو غوتزولي Benozzo Gozzoli في قصر ميديتشي ريكاردي في فلورنسا في الفترة (1452-1459)، وهي مليئة بصور آل ميديتشي (وهي الأسرة الحاكمة في جمهورية فلورنسا وراعية فنان عصر النهضة) وأصدقائهم وخدمهم، ضمن هذه الفئة.²⁶ كان من بين عوامل الجذب في هذه المجموعة الواسعة جداً من الصور الواقعية إمكانيات التعرف أولئك الأشخاص الذين تمّ تصويرهم أو نحتهم إلى حد كبير من المعاصرين لهم. ومن أمثلة ذلك جاء العبد الإفريقي الأسود في مقدمة اللوحة الجدارية على الجدار الشرقي، بين غالياتسو ماريّا سفورتسا، Galeazzo Maria Sforza حاكم ميلانو، وكوسيمو دي ميديتشي Cosimo de' Medici حاكم فلورنسا، وكلاهما كان يمكن التعرف على صورتهم على الفور. وفي ذلك الوقت، كان من المحتمل أيضاً التعرف على الإفريقي الأسود، على الرغم من أنه لم يُعثر حتى الآن على أي إفريقي أسود في منزل كوسيمو أو في عمله. أما وجه الصياد ورأسه فقد تم تجسيدهما بشكل لافت للنظر، حيث يتميزان بشعر قصير جداً ومرتفع بزاوية عميقة في عظام الوجنتين وأنف عريض وشارب خفيف وشفتين ممتلئتين؛ وهو يرتدي سترة فيروزية اللون مع خرطوم متعدد الألوان، ويحمل قوساً كبيراً ولكن بدون سهام.²⁷

كانت هناك تماثيل أخرى تتضمن مشاهد للسادة والعبيد لم تكن مبنية على تصوير أو نحت لأشخاص حقيقيين، بل على عبيد متخيلين أو أشخاص عاميين وغير حقيقيين، بلامح مركبة أو سمات إفريقية غير مستقرة، مثل العمامة. وهذه الحالات تمنح رؤية جانب مختلف من موقف عصر النهضة تجاه العبودية. ففي التمثال النصفي الرخامي الذي يعود لعام 1553

²⁶ - Mantese. Giovanni, *Memorie storiche della chiesa vicentina, III, II* (Vicenza: Neri Pozzi, 1964), p. 665. N16.

²⁷ - Lowe. Kate, op., cit.

والمنسوب إلى ورشة عمل ليوني ليوني Leone Leoni (ربما نحتة أنجيلو مارين (Angelo Marini)، نجد القاضي وعضو مجلس الشيوخ الميلاي الصارم والوقور جياكومو ماريا ستامبا Giacomo Maria Stampa مدعوًا بشخصيتين شبه عاريتين تُعرفان باسم أطلانتس Atlantes، إحداهما يرتدي عمامة. ومن المرجح أن مهنة ووضعية هذين التمثالين البشريين أنهما كانا من العبيد. كان الأطلانتس نوعًا شائعًا نسبيًا من أنواع تمثيل العبيد في ذلك الوقت، ولكن ملامح الأطلانتس أنفسهم كانت متخيلة وليست "حقيقية"، على عكس ملامح الصياد الأسود.²⁸ وحتى لو كان الأمر مجرد مسألة أسلوبية، فإن ستامبا هنا يُمثل كائنًا بشريًا أسمى يستحق أن يُذكر، يحمله كائنات أقل شأنًا لأهمية له.

كان من المستحيل تقريبًا على معظم العبيد المستقدمين من جنوب الصحراء الكبرى عندما يتم تحريرهم، العودة إلى بلدانهم الأصلية. يستثنى من هذه القاعدة بعض الذين أخذهم البرتغاليون في الرحلات الأولى الذين دربوا على الاشتغال بالترجمة في لشبونة، تمّ إعادتهم في رحلات لاحقة ليعملوا كمترجمين فوريين لهم.²⁹ كما أنّ هناك بعضًا من العبيد الذين أخذوا في الرحلات الإنجليزية الأولى ومكثوا فترة من الوقت في إنجلترا، ربما لتعلم اللغة الإنجليزية، ثم أُعيدوا بعد ذلك. تم أخذ خمسة أفارقة من شاما Shama على ساحل غانا إلى لندن في سنوات 1554-1555 م. وقد عادوا في عام 1556، وتمّ استقبالهم بفرح شديد، من طرف أهلهم.³⁰ غير أن العودة إلى الوطن كانت ممكنة بالنسبة للأسرى المغاربة وبخاصة حلفاء الدولة العثمانية من ليبيين وجزائريين وتونسيين وبحارة جمهورية سلا الاندلسيين، وخاصة من إسبانيا التي كانت قريبة جدًا من شمال إفريقيا؛ فقد حددت إحدى الدراسات شخصيات 330 مغربيًا محرّراً هاجروا من بلنسية في إسبانيا إلى أراضي المسلمين بين عامي 1470 و1516، ودفعوا فدية الخروج من أجل المغادرة.³¹ وهناك أيضًا الحالة الشهيرة لكاتب الرحلات المسلم الحسن بن محمد

²⁸ - Lowe. Kate, op., cit.

²⁹ - Alves Barbosa. Maria Augusta, Vicentivs Lvsitanvs: Ein portugiesischer Komponist und Musiktheoretiker des Jahrhunderts (Lisbon: Estado da Cultura, 1977), p. 2.

³⁰ - Fonseca. Jorge, "Black Africans in Portugal during Cleynaerts's Visit (1533–1538)," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, p. 121. "Black Africans in Portugal," op. cit., pp 119–120.

³¹ - Fra-Molinero. Baltasar, "Juan Latino and His Racial Difference," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, 326-344.

الوزان، المعروف باسم ليو أفريكانوس (الافريقي) الذي تم أسرهِ واستعباده وتحويله إلى المسيحية في عهد البابا ليو العاشر في العقد الثاني من القرن السادس عشر. وبمجرد أن سنحت له الفرصة، عاد إلى شمال إفريقيا بعد سنوات في أوروبا.³²

من المهم النظر في أنواع الأنشطة الجماعية المتاحة للعبيد الأفارقة. في بعض أنحاء أوروبا، كان الأفارقة قادرين على مواجهة أسيادهم من خلال المحاكم (على سبيل المثال، في فالنسيا كان بإمكانهم اللجوء إلى مسؤول يدعى وكيل البؤساء)، ونجح عدد كبير منهم في ذلك.³³ كما كان بإمكانهم أيضاً الانتماء إلى الرهبنات أو الأخويات بالاديرة وغيرها، في البرتغال وإسبانيا وإيطاليا، وهي مجموعات اجتماعية مدعومة من الكنيسة مكرسة للأعمال الصالحة، وكان بعضها أسود بالكامل، وكانت تعمل بكثافة في شراء حرية العبيد السود.³⁴ وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك أبرشيات في البرتغال وإسبانيا حيث كان يعيش عدد كبير من الأفارقة، الأمر الذي كان يجب أن يكون قد سهل المزيد من الشعور بالهوية الجماعية. كان التهديد الأسوأ هو القول بأن العبد سيباع بعيداً عن محيطه المألوف، في البر الرئيسي لإسبانيا، كان العبيد الذين يعانون من صعوبات في العيش مهددين بإرسالهم إلى جزيرة يابسة (إيبيثا) أو مايوركا.³⁵ وكان العبيد في البرتغال يتعرضون للتهديد باحتمال بيعهم في إسبانيا. لم يكن هناك الكثير من الأدلة على مقاومة العبيد الجماعية؛ وفي حالة العبيد السود، ربما كان ذلك بسبب أن العبيد القادمين من غرب إفريقيا لم يكونوا يتحدثون في الغالب اللهجة أو اللسان بشكل متماثل مما صعب من وظيفة التواصل بينهم.

³² - Lawrence. Jeremy, "Black Africans in Renaissance Spanish Literature," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, 70–93; Ditos Portugueses dignos de memória, ed. José Hermano Saraiva (Lisbon: Europa-América, 1997), p. 197.

³³ - Saunders. A.C. de C.M., "The Life and Humour of João de Sá de Panasco, o Negro, Former Slave, Court Jester and Gentleman of the Portuguese Royal Household (fl. 1524–1567," in F.W. Hodcroft et al., eds., *Medieval and Renaissance Studies on Spain and Portugal in Honour of P.E. Russell* (Oxford, The Society for the Study of Mediaeval Languages and Literature, 1981), pp. 180–191.

³⁴ - Blumenthal, op. cit., pp. 116–117.

³⁵ - Vogt. John, op. cit., p. 9. N.50.

ومع ذلك، كانت الحكومات تخشى دائماً من احتمال تمرد العبيد، ولذلك حاولت الحد من إمكانية الحصول على الأسلحة الخطيرة، أو غيرها من الأدوات التي يمكن استخدامها كأسلحة، مثل العصي الطويلة أو السكاكين، ومنع الأفارقة من الاجتماع معاً بأعداد كبيرة. لذا فقد أصدروا في كثير من الأحيان قوانين تمنع العبيد من حمل السلاح، وتمنع اجتماع أكثر من عدد محدد من الافراد العبيد الأفارقة، كما كان يُمنع العبيد من الذهاب إلى الحانات، فقد أصدر ملك البرتغال مانويل الأول Manuel I مرسومًا يقضي بتغريم أي صاحب حانة في لشبونة ببيع الخمر أو الطعام لأي عبد، أسود أو أبيض.³⁶ وفي بعض الحالات منعهم من حمل الطبول أو الدفوف، مما قد يؤدي إلى فقدان السيطرة على قدراتهم الذهنية.³⁷ واتخذت المقاومة الفردية بشكل رئيسي شكل الهروب؛ وكانت أوصاف العبيد الهاربين شائعة، وكذلك الرسائل التي تطالب بعودتهم. ونادراً ما كان العبد يقتل سيده أو سيدته، لكن العقوبات التي كانت تُفرض على العبد الذي يفعل ذلك كانت قاسية جداً. لقد شاع اعتبار جميع السود عبيداً في أجزاء من أوروبا حيث كانت هناك أعداد كبيرة من العبيد السود، وكان يُطلب أحياناً من غير العبيد السود إثبات أنهم أحرار.³⁸

كانت هناك اختلافات مهمة أخرى تتعلق بمكان وكيفية بيع العبيد. لم تكن أسواق العبيد أماكن مادية محددة في معظم أنحاء أوروبا في عصر النهضة، وهو ما قد يكون أحد أسباب قلة الرسوم التوضيحية لأسواق العبيد، إن وجدت. قام أحد مصنعي الطباعة الفرنسيين، وهو جاك كالو Jacques Callot برسم نقش لمشهد فدية الأسرى في حوالي عام 1620م.³⁹ في مشهد كان جميع من فيه من البيض تقريباً، وهو ما يختلف عن سوق الرقيق في أوروبا حيث يتم بيع العبيد الأفارقة الذين تم أسرهم حديثاً إلى ملاك جدد. وهنا، بدلاً من ذلك، يتم اقتداء الأوروبيين البيض الذين تم أسرهم من قبل المغاربة حلفاء العثمانيين أو تم أسرهم في الحروب

³⁶ - Saunders. "The Life and Humour of João de Sá de Panasco". op. cit., p.13

³⁷ - Stella. Alessandro, "Herrado en el rostro con una S y un clavo: L'homme-animal dans Espagne des XV–XVIII siècles," in Henri Bresc, ed., *Figures de l'esclave au MoyenAge et dans le monde moderne* (Paris: L'Harmattan, 1996), p. 147–163.

³⁸ - Saunders. A. C. de C. M. *A social history of black slaves and freedmen in Portugal, 1441-1555*. Cambridge University Press, 1982. p. 40.

³⁹ - Saunders. Ibid. p. 41.

من قبل المشتريين أو المكلفين بإعادتهم إلى ديارهم. يبدو المكان وكأنه مشهد عام في البحر الأبيض المتوسط وليس موقعًا حقيقيًا. كان الأفارقة جنوب الصحراء الكبرى في وضع غير مواتٍ بسبب المسافة الكبيرة بين أوروبا وأوطانهم، لذلك لم يكن يتم عادةً اقتداؤهم أو مبادلهم. إلا أن أحد الأفارقة السود المغامرين من ذوي المكانة الرفيعة الذي تم أسره ونقله إلى أوروبا وعد بأنه إذا أُعيد إلى إفريقيا، فإن عائلته ستقدم عشرة عبيد بدلاً منه، وهذا ما تحقق فعلاً.⁴⁰ وكان العبيد في إيطاليا يباعون عادةً من منازل الوكلاء أو المالكين أو من أماكن عملهم، وأحيانًا فقط في الساحات العامة، وربما كان الأمر نفسه صحيحًا في جميع أنحاء أوروبا حيث لم يكن هناك الكثير من العبيد. على سبيل المثال، تم عرض عبد أسود للبيع في أربعينيات القرن الخامس عشر من قبل مالكة الإيطالي في إحدى الساحات في ساوثهامبتون بإنجلترا Southamptون، ولكن لم يتقدم أي مشتري، ربما لأن العبودية "لم تكن موجودة" في إنجلترا، وربما لم تعجب الفكرة الشعب الإنجليزي في تلك البلدة.⁴¹ على الرغم من التاريخ الفظيع للعبودية التي مارسه الإنجليز في المستعمرات بإفريقيا وأمريكا يشهد على نقيض هذا الموقف. وفي لاغوس Lagos عاصمة مملكة غرب الأندلس،⁴² وكانت أول مكان في أوروبا يتم فيه إنزال العبيد السود من غرب إفريقيا، لا تزال ذكرى سوق العبيد الذي كان يباع فيه العبيد حية بعد مئات السنين.⁴³ وفي لشبونة، التي كانت مركزًا كبيرًا لوصول العبيد الوافدين، كان هناك في القرن الخامس عشر الميلادي بيت للعبيد، Casa dos Escravos، الذي كان يتولى جميع المعاملات المالية نيابة عن التاج، وكان يتم تقييم العبيد من قبل مسؤولي التاج ويتم ربط بطاقة سعر حول رقبة العبد.⁴⁴ كان بالإمكان عرض العبيد في بيت العبيد أو بيعهم للتجار أو السماسرة، الذين كانوا يعيدون بيعهم في مزادات

⁴⁰ - Rudt de Collenberg, Wipertus. op. cit., pp. 9-181.

⁴¹ - Answaarden van. Robert, *Les Portugais devant le Grand Conseil des Pays-Bays (1460–1580)*. Paris : Fondation Calouste Gulbenkian, 1991, pp. 250-253.

؛ تأسست سنة 1242م، وجاء اسم المملكة من اسم المنطقة Reino do Algarve - مملكة الغرب بالبرتغالي
التي كانت تسمى العربي بلاد غرب الأندلس، كانت مملكة مدمجة مع مملكة البرتغال حتى عام 1910م.
وأشهر عواصمها مدينة لاغوس.

⁴³ - Knutson. Roslyn L., "A Caliban in St. Mildred Poultry," in Tetsuo Kishi, Roger Pringle, and Stanley Wells, eds., *Shakespeare and Cultural Traditions*. Newark: University of Delaware Press/London and Toronto: Associated University Presses, 1994, pp. 110-126. p. 116.

⁴⁴ - Blumenthal, op. cit., p. 179.

العبيد المنتظمة في الساحة العامة المعروفة باسم بيلورينهو فيلهو Pelourinho Velho⁴⁵. اختلفت إجراءات البيع بشكل كبير داخل أوروبا. ففي فالنسيا وفي مانتوا Mantua في إيطاليا، على سبيل المثال، كان الجزء الحاسم من عملية بيع الرقيق هو "المقابلة" بين العبد والمشتري المحتمل، وهذا الحدث سمح للعبيد بإدراك قدر ذواتهم.⁴⁶ كان بعض العبيد ناجحين للغاية في رفض بيعهم: فقد كانوا يتظاهرون بالجنون، أو كانوا معترضين تمامًا وخارجين عن السيطرة، أو يؤذون أنفسهم، كما في حالة جارية وضعت إبرة خياطة في أنفها، كي لا يتم شرائها.⁴⁷

3. معاملة العبيد

كان على العبيد الأفارقة الذين تم جلبهم حديثاً إلى أوروبا، أن يشرعوا في عملية صعبة ومعقدة للتكيف مع كونهم عبيداً. كانت إعادة التسمية جزءاً مهماً بشكل خاص من هذه العملية، حيث كانت علامة فارقة في الرحلة الطويلة التي أجبروا فيها على إعادة التكيف مع حياة الواقع الاجتماعي الجديد في بلد جديد، ومع الولاء الديني الجديد. تخضع العديد من ممارسات التسمية في السجلات لعمليات معقدة. من الصعب التعرف على أصولهم اعتماداً على المصادر الوثائقية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر إن كانوا فعلاً أفارقة، ما لم يتم توضيح مكان أصلهم أو لون بشرتهم. عندما تم استعباد الأفارقة ونقلهم إلى أوروبا، أُعطي لهم أسماء مسيحية أوروبية وأُجبروا على التخلي عن أسمائهم الخاصة. باستثناء عدد قليل من مسلمي بلاد المغرب الذين احتفظوا بأسمائهم الخاصة، فعلى سبيل المثال، هناك عبد من شمال إفريقيا اسمه Barack⁴⁸ ورد اسمه في وثيقة جنوبية من عام 1432م، ولكن الأفارقة من جنوب الصحراء الكبرى كانوا على النقيض من ذلك الوضع بشكل أساسي. بعض الأفارقة جنوب الصحراء الكبرى الذين لم يكونوا عبيداً قبل أسرهم قد اختاروا أسماءهم المسيحية الخاصة بهم عندما تم تعميدهم وإلزامهم بالتنصير. فقد تم تعميدهم حاكم الكونغو وعائلته المقربة ونبلائه عندما

⁴⁵ - Lowe. Kate, "Black Africans" Religious and Cultural Assimilation to, or Appropriation of, Catholicism in Italy, 1470-1520," Renaissance and Reformation/Renaissance et Réforme, 31:2 (2008): 67-86 pp. 70-73.

⁴⁶ - Blumenthal, op. cit., pp. 46-47.

⁴⁷ - Ibid., pp.73-76.

⁴⁸ - يبدو الاسم غير متداول في بلدان المغرب بهذا الشكل، ربما يكون تحريفاً لاسم مبارك أو مبروك، كانت معظم أسماء الأسرى عربية وقليل بربرية أو تركية أو من الاعلاج.

اعتنقوا المسيحية عام 1491 بنفس الأسماء التي كان يطلقها نظراؤهم من الملوك والنبلاء في البرتغال: كان الحاكم يدعى جواو João، على اسم الملك جواو الثاني ملك البرتغال، وكانت قرينته تدعى ليونور Leonor، على اسم الملكة ليونور، وكان ابنهما الأكبر يدعى أفونسو Afonso، على اسم أفونسو ابن جواو وليونور.⁴⁹ وهكذا مع جميع النبلاء. عادة ما كان يُطلق على العبيد أسماء مسيحية، وغالبًا ما كان ضمن مجموعة صغيرة جدًا، ففي إيطاليا هناك الكثير من العبيد الذين سموا لوتشيا أو جيوفاني أو مارتا، وفي البرتغال هناك المئات من العبيد الذين سموا ماريًا أو أنطونيو أو كاتارينا أو فرانسيسكو.⁵⁰ وغالبًا ما كان يُشار إليهم بهذا الاسم المسيحي إلى جانب لقب مالكمهم، والذي كان يتغير مرة أخرى إذا تم بيعهم لمالكين آخرين. وأُطلق على العديد من الأفارقة ألقاباً مرتبطة بلون بشرتهم مثل فحمي أو مغربي (Maura, Carbone) كان هناك العديد من الأسماء المزحة أيضاً، مثل يوحنا الأبيض، أو ما يشابهه، وهو موجود في جميع أنحاء أوروبا.⁵¹ وفي بعض الأحيان، وبدلاً من إعطائهم لقب مالكمهم، كان يتم إعطاؤهم لقب مالكمهم المسيحي، و"اختراع" لقب أو كنية لهم. فقد أطلق إدوارد وينتر في إنجلترا على عبده لقب "سوارثي" المخترع، بحيث عُرف العبد باسم إدوارد سوارثي. 51 كما ارتبطت أسماء العبيد بفترات كانت فيها الأسماء الكلاسيكية شائعة مثل بومبي Pompey أو فورتوناتوس Fortunatus.⁵²

كان تعلم لغة أوروبية جديدة عنصراً حيوياً في عملية التحول إلى عبد في أوروبا. لم تكن أوروبا كياناً لسانياً موحداً، بل كانت عبارة عن كتل من البلدان والمناطق، وكان للعديد منها السنة مختلفة، لذلك كان على الأفارقة في كثير من الأحيان تعلم أكثر من لسان أوروبي جديد. كان فيتشانتى لوسيتانو Vicente Lusitano من أصل إفريقي وألف كتاباً شهيراً عن النظرية الموسيقية. وُلد في البرتغال، وذهب إلى روما في أوائل القرن السادس عشر، ثم ذهب إلى بلاط جرمانى، ومن المؤكد أنه كان يتحدث لغات كل تلك الأماكن.⁵³ كان اللسان المكتوب الشائع

⁴⁹ - Pigafetta, Filippo, op. cit., p. 76.

⁵⁰ - Fonseca. Jorge, *Escravos e senhores*, op., cit., 354-357.

⁵¹ - Fonseca. Jorge, "Black Africans in Portugal," op. cit., pp 119–120.

⁵² - Kaufmann, Miranda (2011). *Africans in Britain, 1500–1640*. Oxford University Research Archive (Thesis). University of Oxford.

⁵³ - Barbosa. Maria Augusta Alves, *Vicentius Lvsitanvs: Ein portugiesischer Komponist und Musiktheoretiker des Jahrhunderts* (Lisbon: Estado da Cultura, 1977), p. 2.

والمتداول لدى المتعلمين في أوروبا في عصر النهضة هو اللسان اللاتيني، والذي كان من الصعب اكتسابه أكثر من اللسان أو اللغات العامية. ومع ذلك، هناك أدلة على أن الأفارقة لم يتقنوه فحسب، بل ألفوا ونشروا أعمالاً به.⁵⁴ وفيما يتعلق بالتواصل المنطوق، كانت اللغة المهجنة أو المولدة Creole or Pidgin متاحة للوافدين الأفارقة الجدد في أوروبا في عصر النهضة، على الرغم من أنه من غير المعروف مدى انتشار استخدامها. انتشر في البرتغال شكل من السخرية من الكلام الغيني (فالا دي غيني) fala de Guiné (هي الكلمات المنتشرة بين سكان غرب إفريقيا)، وفي الوقت ذاته كان الاسبان يسخرون من (الكلام السود) Habla de negros، في المسرحيات والقصائد والنكت لتلك الفترة.⁵⁵

كان هناك تمييز على جميع المستويات، تمامًا كما كان هناك قبول على جميع المستويات، لذلك تبقى الصورة مختلطة. ويعد مهرج البلاط البرتغالي الأسود أو الأحمق البرتغالي في القرن السادس عشر، جواو دي سا دي باناسكو، João de Sá de Panasco مثالاً جيداً على مؤيد موهوب جداً، والذي بينما كان يتم ترقيته وحمايته من قبل الملوك البرتغاليين، عانى أيضاً من إهانات شرسة حول وضعه السابق كعبد وبشرته السوداء من ألسنة النبلاء ورجال البلاط الذين يغارون من مكانته ونجاحه.⁵⁶ ومع ذلك، فقد كان ناجحاً بما فيه الكفاية ليحصل على وسام سانتياغو كفارس، Order of Santiago وهو واحد من ثلاثة أفارقة سود فقط تم تكريمهم بهذا التكريم في القرن السادس عشر. وقد بقيت النكت التي قيلت ضده أكثر من النكت التي

⁵⁴ - Fra-Molinero. Baltasar, "Juan Latino and His Racial Difference," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, pp. 326-344.

⁵⁵ - Lawrence. Jeremy, op. cit., p.197.

⁵⁶ - Saunders. A.C. de C.M., "The Life and Humour of João de Sá de Panasco, o Negro, Former Slave, Court Jester and Gentleman of the Portuguese Royal Household (fl. 1524—1567)," in F.W. Hodcroft et al., eds., *Medieval and Renaissance Studies on Spain and Portugal in Honour of P.E. Russell* (Oxford, The Society for the Study of Mediaeval Languages and Literature, 1981), 180-191.

أطلقها هو بنفسه، حيث تكشف هذه النكت الكثير عن ردود الأفعال أو الاستجابات تجاه إفريقي أسود ناجح يعيش حياة محمية في البلاط.⁵⁷

من المؤكد أنّ العقاب كان ملازماً للعبودية في كل العصور وفي الذي عصر النهضة الأوروبية موضوع هذا البحث؛ وقد اختلف الأمر من مكان إلى آخر. ففي أسوأ حالاته، في فالنسيا على سبيل المثال، كان العبيد في المنازل الفردية في بلنسية يُحبسون ليلاً في أقفاص خشبية ويقيدون بالحبال والاصفاد، ولكن هناك بعض الاستثناءات.⁵⁸ كما كان من الممكن في كثير من الأحيان أن يعاقب العبيد جسدياً على الجنج التي يرتكبها بشكل أشد من الأحرار، وهو تمييز يمكن أن يكرسه القانون العنصري لذلك الزمان. كما كان من الممكن محاكمة ملاك العبيد إذا مات عبد نتيجة للعقاب، ولكن القليل منهم فقد من كان يحاكم، فالضغط المجتمعي هو الذي كان يحارب القسوة أكثر النصوص القانونية المعمول بها. ومن الأجر التذكير أن جميع الفئات تقريباً في الأسرة وفي المجتمع كانت معرضة للتأديب الجسدي العنيف من قبل أرباب الأسرة، فالزوجات والأطفال والخدم والعبيد، لذا لم يكن العبيد في وضع مختلف في هذه الأحوال، فالقسوة كانت ثقافة منتشرة ومتداولة. ومن المظاهر المميزة الأخرى للعبيد أنه كان من الممكن وسمهم: فقد كان العبيد التابعون للتاج البرتغالي يوسمون على الذراع. وتم وسم جميع العبيد الذين تم نقلهم إلى ساو تومي من بنين أو أي مكان آخر بعد عام 1519 بوسم صليب على أعلى الذراع الأيمن،⁵⁹ ثم تغيرت العلامة فيما بعد إلى حرف G، أي علامة Marca de Guiné.⁶⁰ وفي إسبانيا، كان العبيد يوسمون بحرف S على أحد الخدين، وحرف I الذي يشير إلى Clavo، أي مسمار، على الخد الآخر، بحيث يُقرأ الكل إسكلافو، وهي كلمة تعني العبد.⁶¹ لكن في إيطاليا

⁵⁷ - Dutra. Francis A., "A Hard-Fought Struggle for Recognition: Manuel Gonçalves Doria, First Afro-Brazilian to Become a Knight of Santiago," in Francis A. Dutra, *Military Orders in the Early Modern Portuguese World: The Orders of Christ, Santiago and Avis* (Aldershot: Variorum, 2006), XII, 91–113 at 93–94; and Lowe, "'Representing' Africa," 114.

⁵⁸ - Blumenthal, op. cit., pp. 116-117.

⁵⁹ - Vogt. John, op. cit., p. 9.

⁶⁰ - Saunders, *A Social History of Black Slaves and Freedmen in Portugal*, p. 13.

⁶¹ - Stella. Alessandro, op. cit., pp. 147-163.

وأماكن أخرى، كان العبيد يوسمون فقط في حالة هروبهم، وليس كوسيلة أساسية لتحديد شخصيتهم.

يمكن تصنيف معاملة العبيد تحت عدة عناوين، منها أنّ أوروبا بدأت تبحث عن التنوع الديني، فصار لبعض الجاليات، قليلا من المسلمين وكثيرا من اليهود مكاناً في بعض المدن والمناطق بأوروبا. على الرغم من أنّ الديانة الراسخة في أوروبا في منتصف القرن الخامس عشر هي الكاثوليكية، إضافة إلى ظهور أعداد كبيرة من البروتستانت، من نحل مختلفة. وكانت البابوية عادة ما توافق على مؤسسة الرق وتدعمها، وكان الكهنة والأساقفة والكرادلة والباباوات جميعهم يمتلكون العبيد. وقد وصلت أول شحنة من العبيد تشمل العبيد السود إلى أوروبا في لاغوس في جنوب البرتغال في عام 1444، وتم إرسال بعض من هذه الدفعة الأولى إلى المؤسسات الكنسية. وفيما يتعلق بالتحويل، كان العبيد السود الذين تم جلبهم من غرب إفريقيا والذين كانوا يعتبرون أكثر حيوية ونشاط، غالباً ما كان يتم تعميدهم بإجبارهم على رش الماء على متن السفينة، وإن لم يكن الأمر كذلك، كان من المفترض أن يتم تعميدهم من قبل مالكيهم الجدد عند وصولهم. وغالباً ما كان هذا التعميد الإجباري من الناحية القانونية ملزماً لملّاكهم للمحافظة عليهم، حتى على أعلى طبقات المجتمع. لقد عرض الملك جواو الثاني ملك البرتغال حوافز في شكل ملابس تسمى "ملابس النصر" إذا اعتنق عبيده المسيحية، ولكن في عام 1493، كان ثلاثة على الأقل من عبيده لا يزالون يحتفظون بأسمائهم الإفريقية التي كانت تُنقل إلى البرتغالية باسم تانبا Tanba وتونبا Tonba وبايبري⁶² Baybry، وما يدل على أنهم لم يعتنقوا الديانة المسيحية، أنهم لم يُسموا بأسماء مسيحية واحتفاظهم بأسمائهم الأصلية. وقد نص مرسوم البابا ليو العاشر Eximiae de devotionis الصادر عام 1513 على إقامة مغسل معمودية في كنيسة نوسا سنهورا دي كونسيكاو Nossa Senhora de Conceição في لشبونة خصيصاً لتلبية احتياجات تعميد العبيد السود الوافدين حديثاً.⁶³ كانت تقام للمسلمين المغاربة والعثمانيين من أسرى القرصنة، طقوس تعميد أكثر تفصيلاً ولليهود أيضاً بسبب حرص

⁶² - Saunders, *A Social History of Black Slaves and Freedmen*, op. cit., p. 40.

⁶³ - Saunders, *Ibid.*, op. cit., p. 41.

المسلمين على تفادي التنصير وبسبب الصراع المسلح الدائم بين المسيحية والإسلام، وكان اعتناق "الكافر" "المسلم" للمسيحية يحظى بتقدير كبير.⁶⁴

من المخجل أنّ التعميد لم يغير من وضع العبيد. فقد كان العبيد يحظون بمعاملة تفاضلية وفقاً لدينهم المتصور، وليس وفقاً للون بشرتهم. وكان يُنظر إلى المسلمين نظرة أقل تفضيلاً من الأفارقة السود المستعدين للخدمة، فإنّ الذين أسلموا كانوا نسبة قليلة، لأن المسلمين كانوا دوما الأعداء الحقيقيين للمسيحيين في أوروبا، فقد كان يُعتقد أنهم كعبيد أكثر صعوبة وأقل جدارة بالثقة من غير المسلمين.

كان البلد الأوروبي الذي يقصده العبيد مهماً، من حيث المعاملة التي كانت أحياناً تختلف اختلافاً كبيراً من بلد على آخر. فقد كان هناك اختلاف في كيفية النظر إلى العبيد ومعاملتهم بين البلدان ذات الأنظمة السياسية المختلفة: الملكية، والجمهريات والإمارات وغيرها. كما كان للبلدان أيضاً تقاليد مختلفة في التعامل مع العبودية. من الناحية القانونية، كان الرق منصوباً عليه في القانون الروماني، لكن مختلف البلدان والمدن في أوروبا إما لم تلتزم بالقانون الروماني أو أصدرت قوانين محلية أبطلت جوانب معينة منه. تم تأليف مدونات قانونية مميزة للمجتمعات التي لديها أعداد كبيرة من العبيد. على سبيل المثال، جُمعت القوانين الملكية التي صدرت في البرتغال في الفترة من 1481 إلى 1514 وهي الفترة التي وصل فيها العديد من الأفارقة السود إلى البرتغال وبالتالي إلى أوروبا، ضمن مدونة قانونية تسمى Ordenações Manuelinas.

كانت هناك مشاكل خاصة في أجزاء من شمال أوروبا مثل السويد وإنجلترا، حيث لم يكن الرق قانونياً لأنه كان قد ألغي. في عام 1532، نشأت حالة مثيرة للاهتمام في البلدان المنخفضة. فقد هرب "مغربي أبيض" يُدعى "سيمون" (الاسم غير متداول في بلدان المغرب)، موسوم بحرف الباء على أحد خديه وحرف الميم على الخد الآخر، وكان عبداً للسفير البرتغالي لدى الإمبراطور شارل الخامس، وعاد إلى البلاد المنخفضة بينما واصل سيده إلى ألمانيا. وعندما طُلبت عودته من خلال القنوات الدبلوماسية المعتادة، رفض المجلس الأعلى، وهو أعلى محكمة قانونية في البلدان المنخفضة، المساعدة في ذلك، معلناً أن العبودية الشخصية غير موجودة في بلادهم.⁶⁵ ومع ذلك، ففي القرنين الخامس عشر والسادس عشر، استمر جلب "العبيد" الأفارقة إلى

⁶⁴ - Collenberg de. Wipertus Rudt, op. cit., pp. 76-117.

⁶⁵ - Answaarden van. Robert, pp. 250-253.

إنجلترا والسويد والبلدان المنخفضة من قبل ملاكهم الأوروبيين، وعوملوا بنفس الطريقة التي كانوا يعاملون بها عندما كانوا يعيشون مع "مالكهم" في البلدان التي كانت العبودية فيها قانونية. كان مبدأ عدم شرعية الرق في إنجلترا مبدأً معروفاً إلى حد ما، حتى لو كان ذلك عن طريق الإشاعات فقط، حيث سُجلت حالة رفض أحد السود أن يكون عبداً لأحد التجار. ففي عام 1587، اشترى هيكتور نونيس، Hector Nunes وهو برتغالي يهودي سابق اعتنق اليهودية قسراً ويعيش في لندن، عبداً أسود من الذكور من بحار إنجليزي مقابل 4.10 جنيهات إسترلينية، ولكن "العبد" رفض تماماً أن يخدمه كما قال سيده المحتمل. عندما ذهب نونيس إلى المحكمة في محاولة لإجبار "عبده" على الإذعان، لم يجد أي تسوية، وبدلاً من ذلك قيل له أن ملاذه الوحيد هو التقدم بطلب إلى محكمة المدينين لسداد تكاليفه.⁶⁶ بالإضافة إلى ذلك، وبما أن العبودية لم يكن من المفترض أن تكون موجودة، لم يكن بالإمكان تحرير العبيد بنود في وصايا أسيادهم لأن قانون إنجلترا لم يكن يعترف بهم كعبيد في المقام الأول. كما كانت هناك أيضاً اختلافات في كيفية النظر إلى الأفارقة ومعاملتهم تختلف وفقاً لعدد الأفارقة الموجودين في المنطقة أو البلد، وبالتالي مدى ندرتهم أو شيوعهم. ففي المدن الألمانية وفي الدول الإسكندنافية، حيث كان الأفارقة السود هم الاستثناء، كانوا يعتبرون دوماً أنهم متميزين.

من المهم ملاحظة كيف تم التعامل مع القضايا المتعلقة بالجنس والعلاقات الجنسية والزواج فيما يتعلق بالعبيد. كانت الإناث من العبيد الأفارقة مثلن مثل جميع العبيد والخدم الآخرين الذين يعيشون في المنزل عرضة للاعتداء الجنسي من أسيادهم الذكور، ولكنهن كن أيضاً تحت رحمة العديد من الرجال الآخرين، سواء داخل المنزل أو خارجه. فقد ادعى أحد المدانين في قضية اغتصاب جارية أمام محكمة إسبانية أن الشهوة لم تكن هي التي دفعته إلى ممارسة الجنس مع جاريته، بل الرغبة في التخلص من آلام حصى الكلى التي كان يعاني منها.⁶⁷ لقد تضمنت معظم القوانين الأوروبية في ذلك الوقت بنوداً توضح بالتفصيل المبلغ الذي يجب أن يدفعه سيد الجارية إذا ما حملت منه. ولكن هناك أيضاً حالات مبكرة جداً من "الأزواج" السود الذين تمكنوا من إنجاب الأطفال معاً في أوروبا. على سبيل المثال، أنجب "زوج" أسودان في فلورنسا عام 1470 طفلاً، كما فعل أزواج آخرون في البندقية ومانتوا، وهناك أمثلة أخرى من إسبانيا والبرتغال. في العديد من الأماكن، لم يكن لون البشرة هو القضية، على الرغم من أنه

⁶⁶ - Knutson, Roslyn L., op. cit., p. 116.

⁶⁷ - Blumenthal, op. cit., p.179

كان هناك اهتمام بلون بشرة الأطفال المولودين لزوجين مختلطين من السود والبيض، وهناك حكايات تحذيرية عن نساء بيض تم اكتشاف عدم إخلاصهن عندما أنجبن أطفالاً ذوي بشرة سوداء.⁶⁸

كان القانون الروماني، الذي يعد مصدراً أساسياً للتشريع في أوروبا والغرب عموماً، يضع الطفل تابعاً لأمه إن كانت الأمة مملوكة فالمولود يولد عبداً فقط لكون أمه مملوكة. لكن قوانين مدينة فلورنسا، على العكس من ذلك، كانت تنص على أن وضع الطفل يتبع وضع والده،⁶⁹ لذا فإن الطفل المولود لأم مملوكة وأب حر من الطبقة المتوسطة كان حراً في جمهورية فلورنسا. لم يكن من المفترض أن تقيم نساء النبلاء أو نساء الطبقة الوسطى علاقات مع خدامهن من السود، على الرغم من وجود معايير مزدوجة، كانت دور الأيتام في إيطاليا تضم العديد من الأطفال المولودين لرجال من الطبقة الأرستقراطية البيض وعبيدهم أو خادماهم من الإناث، بما في ذلك أعداد من العبيد أو الإماء من أصول إفريقية.⁷⁰ وقد تم تزويج العديد من العبيد الذين تم تحريرهم من قبل أسيادهم أو عشيقاتهم من أزواج بيض. وهذا ما يثير الفضول المعرفي اتجاه واحدة من أهم قضايا العبودية في عصر النهضة الأوروبية: ماذا حدث لأحفاد هؤلاء العبيد الأفارقة السود؟ الإجابة هي أن السكان البيض قد صهروا ذوي البشرة السوداء أو "ابتلعوهم" على مدى أجيال متعاقبة. وفي الحاضر مع اختبار الحمض النووي بدأ بعض الأفراد في أوروبا يكتشفون أن لهم أسلافاً سوداً. لا يوجد سكان سود تاريخياً من القرنين الخامس عشر والسادس عشر لا يزالون موجودين، على الرغم من وجود قرية في البرتغال (ساو روماو São Romão بالقرب من ألكاسير دو سال Alcácer do Sal) وبلدتين صغيرتين في إسبانيا (نييبالا Niebla وجبراليون، Gibraleón وكلاهما في مقاطعة هويلفا Huelva) حيث بقيت الملامح الإفريقية أطول من أي مكان آخر، وحيث يعترف بعض السكان البيض الآن بانحدارهم من العبيد الأفارقة السود.

⁶⁸ - Lowe, Kate, *Black Africans*. Op. cit. p.72

⁶⁹ - Ibid., p.73

⁷⁰ - Cf. Trexler C., "The Foundlings of Florence, 1395–1455," *History of Childhood Quarterly*, 1:1 (1973): 259-284.

تسيطر على مسألة معاملة العبيد النسبية والخصوصية، لم يكن القانون يمنع حصول العبيد على التعليم، لكن ذلك لم يكن يحدث عادةً، لأن العبيد كانوا بحاجة إلى العمل وتوظيف المعلمين يكلف المال، ومع ذلك، هناك أمثلة على العبيد السود الذين كانوا يملكون معلمين أو أشخاص متعلمين سمحوا أو شجعوا عبيدهم على تلقي التعليم محددًا. كان بعض هؤلاء العبيد، الذين تم عتقهم في وقت لاحق، من أصول إفريقية جزئياً، وربما كانوا أبناء مالكي أمهاتهم، وهو سبب إضافي لرغبة آبائهم في تعليمهم. وكانت معظم المهن لا تتطلب سوى الحد الأدنى من التعليم الرسمي، ويمكن أن يقوم بها إما العبيد أو الأحرار، وهو ما يدل على الطريقة التي تم بها تصور العبودية ورؤيتهم لها.⁷¹ كان من الممكن استئجار العبيد في أوروبا من قبل مالكيهم، وإذا عملوا مع مالكيهم في وظيفة بأجر، كان الراتب يُدفع للمالك. ومن الأمثلة على ذلك عبد أسود خدم في عام 1516 كجزء من حراسة الشرطة التي كان يقودها سيده في بيرا Beira في البرتغال، وكان سيده يتقاضى أجر العبد.⁷² كان العبيد في كثير من الأحيان يتعلمون مهارات ضرورية للحياة من قبل الأشخاص الذين كانوا يملكونهم ويعملون معهم، مثل أعمال الصاغة أو الطبخ أو المبارزة، وبالتالي كانوا قادرين على كسب لقمة العيش عندما يتم تحريرهم. ولا بد أن بعض العبيد، مثل الموسيقيين أو المغنين أو الراقصين، قد وصلوا إلى أوروبا من إفريقيا وهم يتمتعون بمهارات بالفعل، وهناك أدلة كثيرة على كيفية تقدير هذه المهارات وتوظيفها في أوروبا. ومرة أخرى يظهر رسم من شمال إيطاليا لموسيقيين ومغنية إفريقية سوداء. كما يظهر في النصف الثاني من القرن السادس عشر أشخاصاً بيضاً وسوداً يشاركون في عرض موسيقى، ويحتمل أن يكون الأفارقة قد تعلموا في أوروبا الغناء والموسيقى. وكان بعض المغنين والموسيقيين السود يعملون في المحاكم ولم يكونوا عبيداً.⁷³

يظهر جون بلانك، "البوق الأسود" في بلاط الملك هنري السابع ملك إنجلترا، في صورتين مختلفتين إلى جانب زملائه البيض في قائمة البطولة الكبرى في وستمنستر Westminster عام

⁷¹ - Fra-Molinero, op. cit., p. 329.

⁷² - Saunders, *A Social History of Black Slaves and Freedmen*, op. cit., p.131.

⁷³ - Knighton. Tess, *Música y músicos en la corte de Fernando el Católico, 1474–1516* (Zaragoza: Institución Fernando el Católico, Sección de Musica Antigua, 2001): pp. 197-205.

1511، مرتدياً غطاء رأس مميزاً ولكن في زي موحد،⁷⁴ كان حرّاً لأنه كان يتقاضى راتباً. وأينما اكتسب الأفارقة مهاراتهم، كان الاندماج في الحياة الأوروبية أسهل بسببها.⁷⁵

4. خاتمة

ظهر الأبطال الأفارقة والشخصيات الإفريقية بشكل أساسي أو ثانوي حقيقية كانت أو متخيلة، في عدد من الأعمال التمثيلية الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والتي صورها في بعض الأحيان كبار فناني عصر النهضة. كان للوجود الإفريقي في أوروبا في عصر النهضة بُعداً بصرياً ذا طبيعة متميزة تسمح بإعادة النظر في الجوانب البصرية والمكانية لمفاهيم العبودية الأوروبية في عصر النهضة. هذه التمثيلات مثيرة للاهتمام في حد ذاتها، ولكن إذا تم استخدامها بالاقتران مع الإرث الوثائقي الهائل والمتنوع بشكل كبير الذي خلفه الرق، فهناك إمكانية لإعادة صياغة حياة العبيد الأفارقة والمنحدرين من أصل إفريقي في أوروبا في عصر النهضة بمنهج أكثر موثوقية، ويمكن فهم الفصل الأوروبي من كتاب تاريخ العالم للعبودية بشكل أفضل.

⁷⁴ - Anglo. Sydney, ed., *The Great Tournament Roll of Westminster: A Collotype Reproduction of the Manuscript*, 2 vols. (Oxford: Clarendon Press, 1968).

⁷⁵ - Anglo. Sydney, "The Court Festivals of Henry VIII: A Study Based upon the Account Books of John Heron, Treasurer of the Chamber," *Bulletin of the John Rylands Library* 43 (1960): 12-45 p. 42.

References

مكتبة البحث

1. Anglo. Sydney, "The Court Festivals of Henry VIII: A Study Based upon the Account Books of John Heron, Treasurer of the Chamber," *Bulletin of the John Rylands Library* 43 (1960): 12-45.
2. Anglo. Sydney, ed., *The Great Tournament Roll of Westminster: A Collotype Reproduction of the Manuscript*, 2 vols. (Oxford: Clarendon Press, 1968).
3. Annemarie Jordan, "Images of Empire: Slaves in the Lisbon Household and Court of Catherine of Austria," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, 155-180.
4. Answaarden van. Robert, *Les Portugais devant le Grand Conseil des Pays-Bays (1460–1580)* (Paris: Fondation Calouste Gulbenkian, 1991).
5. Augusta. Maria and Barbosa. Alves, *Vicentivs Lvsitanvs: Ein portugiesischer Komponist und Musiktheoretiker des Jahrhunderts* (Lisbon: Estado da Cultura, 1977)
6. Blumenthal. Debra, *Enemies and Familiars: Slavery and Mastery in Fifteenth-Century Valencia* (Ithaca and London: Cornell University Press, 2009).
7. Brandão João, "Majestade e Grandezas de Lisboa em 1552," ed. Anselmo Braamcamp Freire and J.J. Gomes de Brito, *Arquivo Historico Portuguez* 11 (1917): pp. 8-241.
8. Dutra. Francis A., "A Hard-Fought Struggle for Recognition: Manuel Gonçalves Doria, First Afro-Brazilian to Become a Knight of Santiago," in Francis A. Dutra, *Military Orders in the Early Modern Portuguese World: The Orders of Christ, Santiago and Avis* (Aldershot: Variorum, 2006), XII, 91–113 at 93–94; and Lowe, "'Representing' Africa," 114.

9. Epstein. Steven A., *Speaking of Slavery: Color, Ethnicity, and Human Bondage in Italy*. (Ithaca and London: Cornell University Press, 2001), 107-112.
10. Fiume. Giovanna, and Modica. Marilena, eds., "San Benedetto il moro: Santità, agiografia e primi processi di canonizzazione" in Giovanna Fiume, ed., *Il santo patrono e la città: San Benedetto il Moro: culti, devozioni, strategie di età moderna* (Venice: Marsilio, 2000), 231-252.
11. Fonseca. Jorge, "Black Africans in Portugal during Cleynaerts's Visit (1533-1538)," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*.
12. Fonseca. Jorge, *Escravos e senhores na Lisboa Quinhentista* (Lisbon: Colibri, 2010).
13. Fra-Molinero. Baltasar, "Juan Latino and His Racial Difference," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, pp. 326-344.
14. Gioffré. Domenico, *IL mercato degli schiavi a Genova nel secolo XV* (Genoa: Fratelli Bozzi, 1971).
15. Hampe. Theodor, *Das Trachtenbuch des Christoph Weiditz: Von seinen Reisen nach Spanien (1529) und den Niederlanden (1531)*. (Berlin: Walter de Gruyter, 1927).
16. Kaplan. Paul H.D., "Italy, 1490–1700," in *The Image of the Black in Western Art, 3: From the "Age of Discovery" to the Age of Abolition, part 1: Artists of the Renaissance and Baroque*, ed. David Bindman and Henry Louis Gates, Jr. (Cambridge Mass.: Belknap Press of Harvard University Press, 2010), 93-190.

17. Knighton. Tess, *Música y músicos en la corte de Fernando el Católico, 1474–1516* (Zaragoza: Institución Fernando el Católico, Sección de Musica Antigua, 2001): 197-205.
18. Knutson. Roslyn L., "A Caliban in St. Mildred Poultry," in Tetsuo Kishi, Roger Pringle, and Stanley Wells, eds., *Shakespeare and Cultural Traditions* (Newark: University of Delaware Press/London and Toronto: Associated University Presses, 1994), 110-126.
19. Lawrence. Jeremy, "Black Africans in Renaissance Spanish Literature," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, 70–93; Ditos Portugueses dignos de memória, ed. José Hermano Saraiva (Lisbon: Europa-América, 1997).
20. Lowe. K.J.P., "The Stereotyping of Black Africans in Renaissance Europe," in T.F. Earle and K.J.P. Lowe, eds., *Black Africans in Renaissance Europe* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).
21. Lowe. Kate, "Black Africans' Religious and Cultural Assimilation to, or Appropriation of, Catholicism in Italy, 1470-1520," *Renaissance and Reformation/Renaissance et Réforme*, 31:2 (2008): pp. 67-86.
22. Lowe. Kate, "Visible Lives: Black Gondoliers and Other Black Africans in Renaissance Venice," *Renaissance Quarterly*, 2013.
23. Luzio. A., and Renier. R., "Buffoni, nani e schiavi dei Gonzaga ai tempi d'Isabella d'Este," *Nuova antologia di scienze, lettere ed arti*, 3rd series, 34 (1891): 618-650, and 35 (1891): 112-146.
24. Mantese. Giovanni, *Memorie storiche della chiesa vicentina*, III, II (Vicenza: Neri Pozzi, 1964).

25. Pigafetta. Filippo, *A Report of the Kingdom of Congo and of the Surrounding Countries*, trans. Margarite Hutchinson (London: Frank Cass, 1970).
26. Rudt de Collenberg. Wipertus, "Le baptême des Musulmans esclaves à Rome aux XVIIe et XVIIIe siècles," *Mélanges de l'École française de Rome: Italie et Méditerranée*, 101:1(1989): 9–181 pp. 76–117.
27. Saunders A.C. de C.M., "The Life and Humour of João de Sá de Panasco, o Negro, Former Slave, Court Jester and Gentleman of the Portuguese Royal Household (fl. 1524–1567," in F.W. Hodcroft et al., eds., *Medieval and Renaissance Studies on Spain and Portugal in Honour of P.E. Russell* (Oxford, The Society for the Study of Mediaeval Languages and Literature, 1981). 180-191.
28. Saunders, *A Social History of Black Slaves and Freedmen in Portugal, 1441–1555* (Cambridge University Press, 2010).
29. Stella. Alessandro, "'Herrado en el rostro con una S y un clavo': L'homme-animal dans Espagne des XV–XVIIIe siècles," in Henri Bresc, ed., *Figures de l'esclave au Moyen-âge et dans le monde moderne* (Paris: L'Harmattan, 1996), 147-163.
30. Thalmann. William G., "Some Ancient Greek Images of Slavery," in Richard Alston, Edith Hall, and Laura Profitt, eds., *Reading Ancient Slavery* (London and New York: Bristol Classical Press, 2011).
31. Thausing Moriz ed., *Dürers Briefe, Tagebücher und Reime* (Vienna: Wilhelm Braumüller, 1872).
32. Tognetti. Sergio, "The Trade in Black African Slaves in Fifteenth-Century Florence," in Earle and Lowe, eds., *Black Africans*, pp. 213-224.

-
33. Vogt. John, "The Lisbon Slave House and African Trade, 1486–1521," *Proceedings of the American Philosophical Society* 117:1 (1973).